تلويحة المدى

▪ شاكر لعيبي

بيكاسو والفن المسيحي الأندلسي المستعرب

٣-٣

كان بيكاسو الذي كان في ذلك الوقت يعمل ردّاً على لوحة ماتيس "بهجة الحياة" Le bonheur de vivre، ١٩٠٥ ويرسم "آنسات أفينيون"، يدرك في أعماقه أن التصميم الزخرفي كان عنصراً حاسماً في أعمال ماتيس، وهو يعكس، إذا ما أحسن استغلاله في العمل الفني، إيقاعاً بصرياً محضاً. كان يرفض ظاهريا الاعتراف بأن جماع تأثيرات للإيقاع الزخرفي يمكن أن تشكل تياراً تشكيلياً راديكالياً، وليس محض تناقض شكلي مع التيارات السائدة. لكنه استخدم هو نفسه شيئا كثيرا، على طريقته الخاصة، من تلك الموتيفات التي اقترحُ دائما أنها مالقية أندلسية في العديد من لوحاته. ذهب بيكاسو للفن الزنجي كما نعرف كأحد المصادر الأساسية لمرحلته التكعيبية، بينما ذهب ماتيس للفن الإسلامي في بحثين يفترقان لكنهما يلتقيان من الداخل، خاصة في مرحلة لاحقة من عمل بيكاسو. فقد دفع إصرار ماتيس الأسلوبي الذاهب إلى الفن الإسلامي بيكاسو إلى منافسة لوحة ماتيس "المغاربة" بلوحته "الموسيقيون".

بعد موت ماتيس عام ١٩٥٤ رسم بيكاسو النساء الشرقيات بأسلوب قريب من محظيات ماتيس، وكأننا به يعيد بعضها ولكن بأسلوبه الثر الحر الخاص وبباليتته الشخصية، مستعيداً في لوحته (سوزان والعجائز، عام ١٩٥٥) عوالمه الشبقية الأثيرة التي لم يكف عن تقديمها طيلة حياته. لقد وقع اختصار زخارف الوسائد والفراش بطريقة بلاستيكية بينما وقع بالمقابل وضع دوائر شبه منحنية ذات طابع لُعبي على ساق المودليل. أن خطوطاً متوازية أو متقاطعة، عرضية أو طولانية هي لعبة تشكيلية لم يكف بيكاسو عنها غير معترف البتة بمصادرها، إلا بعد موت ماتيس وبطريقة غامضة، فعندما رسم بعد عام واحد فقط من رحيل منافسه، لوحة أسماها «نساء الجزائر، (من وحي ديلاكروا)» يظهر ماتيسيا أكثر من ماتيس علي ما يقول بعض مؤرخي الفن، وقد دافع بيكاسو عن ذلك رداً على ملاحظة صديق له: "نعم أنت على حق، فقد ترك ماتيس بعد وفاته لوحات نسائه إرثا في ذمتي، أما لوحاتي هذه فتمثل رؤيتي للشرق [يقصد شمال أفريقيا] حيث لم أذهب إلى هناك أبداً" . لم يذهب بيكاسو إلى شمال أفريقيا لكنه كان يعيش رغم ذلك فيه. عندما نفحص لوحته "نساء الجزائر" عام ١٩٥٥ وبعيداً عن موقفه المدافع فيها عن نساء المستعمرات الفرنسية، كما بعيداً عن رده فيها على موقف دولاكروا الإكزوتيكي الاستشراقي، نرى قليل أو كثير دينه للفن الشرقي (حتى لا نقول الإسلامي)، قبل وبعد هذه اللوحة، ونرى فيها مصادر زخرفية تنهل من معين لا يعترف به تاريخ الفن إلا نادرا على استحياء شديد، كما لا يقول عنه بيكاسو نفسه شيئا يُذكر.

وقد ظهر ذلك في سلسلة اللوحات الخمس عشرة التي أنجزها على هدى لوحة "نساء الجزائر (من وحي ديلاكروا)" إذ أكمل أول اثنين منها في ١٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٤، أي بعد ستة أسابيع من وفاة ماتيس، وكان تأثير لوحات النساء التي رسمها الأخير، بمؤثرات شرقية، شديد الظهور واضحا وجليا في لوحاته. كان بيكاسو يعرف جيدا - وأشار إلى ذلك في مواضع كثيرة- كيف تغلغل ماتيس بعد وفاته في أعماله، ليس فقط في سلسلة أعمال ما بعد ديلاكروا، ولكن في مجمل إنتاجه لتلك الفترة، يظهر ذلك أحيانا في بعض مظاهر اللوحة ومناخها العام أو في روحيتها والأحاسيس التي تحيط بها وأحيانا في تكوينها وبنائها وتفاصيل بصرية كثيرة فيها. كان يود ويقوم، لا شعوريا في رأيي، بالرد على ماتيس عمليا بإنجاز لوحات تؤكد أنه يعرف الفن الإسلامي أكثر منه.

لنبق عند لوحته (نساء الجزائر) ولنلاحظ، من الزاوية التي تعنينا هنا فقط، بأنها محتشدة حرفياً بكل الموتيفات المسماة عرابيسك: الخطوط الطولانية والعرضية وأشكال المعينات، وتجاوُر الألوان الزاهية كما في السجاد، والتجريد، والتناظرات اللونية، وجميع الأشكال الهندسية المتراكبة كالمستطيل والمثلث والدائرة، والمعالجة اللونية الأخيرة التي تمنح للعين لعبة من ألعاب الأربيسك رغم الموتيفات التشخيصية الموجودة في اللوحة. إن الانطباع الممكن الخروج به من هذه اللوحة أنها، ببنيتها العامة وتركيبها اللوني، وكأنها سجادة شرقية معمولة على مزاج وبإبداع بيكاسو الفذ.

عندما سيعيد معالجة لوحة فيلاسكيس الشهيرة (وصيفات الشرف: لاس مينيناس ١٦٥٦) Les ménines d'après Velasquez المرسومة عام ١٩٥٧ فإنه لن يقوم إلا بالأمر عينه بالضبط رغم أن استعارات ومنحى فيلاسكيس يختلف عن معالجة ورؤية ديلاكروا. لقد طواهما كليهما في رؤيته المزخرَفة.

لماذا يستخدم الأسلوب عينه بالعودة إلى لوحتين لا علاقة بينهما شكلياً؟ إنه يفعل لصالح همه التشكيلي وحده الذي يبدو أن هاجسا ماتيسيا قد انصب فيه انصباباً، والذي يبدو بالتالي وقد أخذه إلى الأماكن ذاتها التي كان ماتيس يسعى إليها: الفن الشرقي.

نوبل للآداب 2011

نوبل تخاصم أدونيس وتسر صديقه السويدي

العراقيون أول من عرّف بالشاعر ترانسترومر وترجموا أعماله للعربية

علي حسين

في السنوات الأخيرة ظل اسم الشاعر أدونيس يتردد في أخبار جائزة نوبل.. فقبل أسابيع بدأ عدد من الصحف العربية ومواقع الإنترنت تنشر أخبارا عن ترشيحه للجائزة ضمن قائمة شملت أربعة آخرين، ابرزهم الشاعر السويدي توماس ترانسترومر والروائي الياباني هاروكي موراكامي صاحب الرواية الشهيرة كافكا على الشاطئ، فيما زميلتنا القاصة القديرة ابتسام عبد الله كانت إلى ما قبل يومين تبشر بفوز أدونيس حين كتبت في المدى تقول: إن أدونيس بعد فوزه بجائزة غوته الأدبية الألمانية في أوائل هذا العام، يبرز اسمه بين المرشحين الأوفر حظاً لجائزة نوبل للآداب لعام ٢٠١١، هكذا ارتفعت معنوياتنا نحن العرب على أمل الحصول على هذه الجائزة الأدبية الرفيعة للمرة الثانية بعد أن حجز الروائي الكبير نجيب محفوظ المقعد العربي الأول بين الخالدين عام ١٩٨٨.

ومبعث هذا الأمل إن مؤسسة ثقافية بحجم الأكاديمية السويدية حين تضع عينها على أحد فإن قطار الجائزة حتما سيصل إلى محطته، إلا أن يوم أول من أمس حمل لنا مفاجأة لكنها سارة بالتأكيد،فالجائزة التي طالما اتهمت بأنها مسيّسة وتذهب أحيانا إلى شخصيات أدبية مغمورة، عدلت من مسارها هذه المرة لتذهب إلى واحد يعد أعظم شعراء هذا العصر، إنه العجوز السويدي الصامت توماس ترانسترومر البالغ من العمر ٨٠ عاماً لتكون بذلك قد

توجت جهود هذا الشاعر الكبير الذي ظل يتصدر قائمة المرشحين للجائزة طوال اكثر من عشرين عاماً، وقد جاء في بيان اللجنة أن الجائزة منحت لشاعر أعطانا مدخلا جديدا للواقع من خلال صوره المكثفة الشفافة، وأضاف البيان: إن "غالبية دواوين ترانسترومر الشعرية تتسم بالإيجاز والوضوح والاستعارات المعبرة.

×××

هذه المرة وإن خذل السويديون العرب لكنهم أفرحوا العراقيين الذين كان لهم السبق في تقديمه للقرّاء العرب، هذا الشاعر الذي ظل على مدى ستين عاما مخلصا للشعر وللموسيقى، ولهذا من الصعوبة أن تفرق بين كلمات ترانسترومر وصوت الموسيقى المنبعث منها، ففي كل عبارة تجد موسيقى، حيث يبدو الشاعر وكأنه يبحث في طريقه عن إيقاعات في كل ما يلقى على الطريق أو يهمل أو يعتبر عاديا أو مستهلكا أو مهجورا أو غير مصقول. كل ذلك يجد ه ترانسترومر ويلتقطه ويتأمله. ربما لهذا استطاع ترانسترومر وبجدارة من أن يتخطى الشعر، إلى شعر يستطيع تشكيل الأشياء، اليوم يجلس ترانستومر على كرسه وعلى محياه المحتدم سيماء الرضا والحبور والقلق والنشوة..، هو الذي تُرجم شعره إلى أكثر من ٥١ لغة في العالم، ووصفه الشاعر جوزيف برودسكي "الحائز على جائزة نوبل ١٩٨٧" بأنه شاعر من الطراز الأول. وقال ديريك والكوت (نوبل ١٩٩٢): "إن على لجنة نوبل ألا تتردد في منح ترانسترومر جائزتها ". ووصفته المجلة الفرنسية الجديدة بأنه "الشاعر الذي يحتضن العالم السحيق ويعلّمنا أن نحسّ في لعثماتنا الهازئة اختلاجات لغة لا تُنسى". وقالت عنه لجنة جائزة نيستردات العالمية بأنه "واحد من الشعراء الأكثر تفرداً في هذا العصر".. وقال عنه آخرون، وأخرونا، الكثير، الكثير، شاعر لايزال شاهدا على عقود من الزمن بكل تناقضاتها، حياة ابتدأت مع صعود النازية وامتدت لترى أفول إمبراطوريات، رجل عاش حياة أشبة برواية من روايات كاتبه المفضل كونديرا. ولد في ١٥ نسان/ابريل ١٩٣١ في ستوكهولم وقد تولت والدته تربيته بعد رحيل والده المبكر.

حصل على إجازة في علم النفس عام ١٩٥٦ وعمل في المعهد النفسي التقني في جامعة ستوكهولم قبل أن يهتم في ستينات القرن الماضي بشباب جانحين في معهد متخصص.. بموازاة انجاز أعمال شعرية غنية، عمل مع معوقين وسجناء ومدمني مخدرات.

في سن الثالثة والعشرين أصدر وهو لا يزال طالبا، ديوانه الأول بعنوان "١٧ قصيدة" لدى أكبر دار نشر سويدية "بونيرز" الذي بقي مرتبطا بها طوال حياته الأدبية.

وترى دار النشر هذه إن شعر ترانسترومر "بشكل تحليلا متواصلا للغز الهوية الفردية في وجه التنوع المتفرع للعالم".

حاز عام ١٩٦٦ جائزة بيلمان العريقة ونال بعدها مكافآت عدة بينها جائزة بيترارك "ألمانيا عام ١٩٨١" ونويشتاد انترناشونال برايز "الولايات المتحدة عام ١٩٩٠".

في ١٩٩٧ استحدثت مدينة فاتيراس العمالية حيث عاش ثلاثين عاما قبل عودته إلى ستوكهولم في تسعينات القرن الماضي جائزة ترانسترومر.. وقد صدر له زهاءعشرة دواوين.

اصيب توماس ترانسترومر العام ١٩٩٠ بشلل نصفي وصعوبة بالنطق اثر سكتة دماغية مما اضطره الى الحد كثيرا من نشاطاته.. واصدر بعد وعكته الصحية هذه بست سنوات ديوانا بعنوان "جندول الحزن" الذي بيعت ٣٠ الف نسخة منه وهو رقم جيد على صعيد الشعر.

إنني شجرة قديمة ذات أوراق ذابلة، لكنها تبقى متشبثة ولا تسقط على الأرض"، هكذا عبر ترانسترومر عن نفسه وهو يسمع ترشيحة للجائزة الذي تكرر لاعوام طويلة، وليضع إجابة قاطعة للأسئلة التي تدور في أذهان مريديه حول إن كان ترانسترومر سيكون على قيد الحياة حين يأتي موعد جائزة نوبل وإن كان سيحصل عليها أم لا.

مختارات من اشعاره

ترجمة: هاتف جنابي

توماس ترانسترومر (١٩٣١)- شاعر سويدي كبير إبداعا وعمرا. منذ سنوات يقف في طليعة شعراء العالم المرشحين لنيل جائزة نوبل. قبل فترة سألتُ بعض زميلاتي وزملائي من الكتاب السويديين: لماذا لم يمنح هذا الرجل الجائزة بعد؟ أجابوني: لأنه سويدي ولا تريد اللجنة أن تتهم بالتحيز! ربما سيحصل عليها هذه المرة. وبالفعل قد حصل عليها. ربما نكون أول من تنبأ من العرب بفوزه لهذه السنة. ١٩٩٧. ترجمنا القصائد من (متاهة في خريف متأخر) مختارات شعرية صدرت للشاعر باللغة البولندية في كراكوف ١٩٩٧.

الأحجار

الأحجارُ أسمعُها، تلك التي رميناها،
كيف تتساقط وتشفّ بمرور الوقت.
تطيرُ
في الوادي، حيث الأفعال الآنيةُ تتعقدُ،
مصطخبةً من عرفِ شجرة إلى أخرى،
تهدأ
في هواء أرقَّ مما هو في الواقع، تحلّقُ
مثل سنونواتٍ من مرتفع إلى مرتفع،
حتى
تصل إلى أبعد المستويات
على حدود الوجود ذاتها. هناك تسقط
كلُّ أفعالنا
شفافةً
إلى قاع لا يختلف
عنّا نحْن.

مرثية

أفتحِ البابَ الأولَ:
غرفة كبيرة مشمسة.
سيارةٌ ضخمةٌ تسير في الشارع
ترجّ الخزف.

أفتح البابَ رقم اثنين.
يا أصدقاءُ! شربتم العتمةَ
ولكنهم مرئيون!
البابُ رقم ثلاثة. غرفة ضيقة في فندق.
منظرٌ على شارع جانبي.
مشكاةٌ تُضيءُ الإسفلتَ.
زفتُ تجاربَ رائعٌ.

من تموز ٩٠

كان تشييع
شعرتُ بأن الميتَ
يقرأ أفكاري
أفضل مني.
الأراغنُ قد صمتتْ، الطيورُ سقسقتْ
وفي الخارج ثمة منخفض في القيظ،
أتاني صوتُ صديقي
على عكس الدقائق.
ذهبتُ إلى بيتي مرئيا
بلمع يوم صيفي
بمطر وطمأنينة
مخترقا بالقمر.

مدينتان

كل واحدة في جهة من المضيق، مدينتان،
واحدة غارقة في الظلام، يحتلها العدو.
وفي الأخرى تشتعل المصابيحُ.
الضفةُ المضيئةُ تُنَوّمُ المدينةَ المظلمة
مغناطيسيا.
أدخلُ في غشية
وفوق المياه اللامعة المعتمة،
تنسلُ ضربةٌ صمّاءُ مدويةٌ.
إنه صوتُ صديقي:
خذْ قبركَ وارحلْ.

إلى الأصدقاء خارج الحدود

نادرا ما كتبتُ إليكم. غير أن الذي لم أستطع كتابته
انتفخَ مثل سفينة فضاء سالفة
كي تنزلق أخيرا عبر سماء الليل.
هذه رسالة لدى الرقيب. الرقيب يشعل المصباح.
كلماتي تتقافز في الضوء مثل قردة خلف القضبان:
ترجّها، تذوي، تكشّرُ عن أسنانها!

اقرأوا ما بين السطور. سنلتقي بعد مئتيْ سنة،
حينما تُنسى الميكروفوناتُ في جدران الفندق
وفي النهاية . ثم تصير متحجرة.

هايكو

١.
أسلاكُ الكهرباء
مشحونةٌ في مملكة الصقيع
في شمال كلّ موسيقى.
×
هرولةُ تمرين موحشة
لشمس بيضاء
باتجاه جبال الموت الزرقاء.

×
علينا أن نعيش
بحرفِ عشب
وضحكةِ سرداب.
×
توجد الشمسُ الآن منخفضةً.
ظلالنا عمالقة.
بعد قليل سيكون كلُّ شيء ظلا.

II
أزهارُ السحلب.
قواربُ تتزحلق.
بدرٌ تام.

III
يا حصنَ العصور الوسطى،
يا مدينةً غريبة، يا أبا الهول البارد،
يا ساحاتٍ فارغة.
×
همست الورقة:
الخنزيرة البرية تعزف على الأُرْغن.
والأجراسُ تدقّ.
×
والليلُ يتقلبُ
من الشرق للغرب
بسرعة القمر.

IV
يعسوبان
عالقان ببَعض
صارا يلمعان.
×
حضورُ الإله.
في نفق نشيد الطائر
تنفتح البوابةُ المغلقة.
×
السنديانُ والقمر.
الضياءُ والكواكبُ الصامتة.
بحرٌ باردٌ.

نهاية سعيدة لانتظار طويل

ترجمة: ابتسام عبد الله

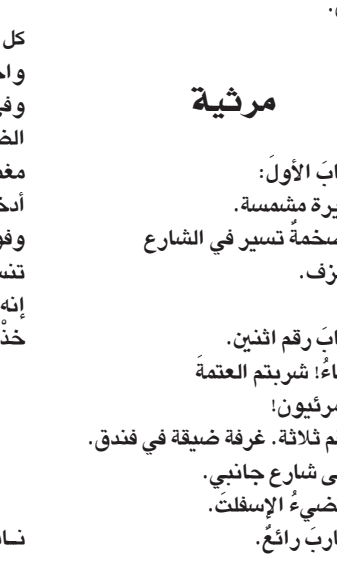

منحت الأكاديمية السويدية جائزة نوبل للآداب لعام ٢٠١١،أحد مواطنيها وهو الشاعر توماس نرانسترومر.و هو بهذه الجائزة سيصبح الكاتب الأوروبي الثامن الفائز بها في السنوات العشر الأخيرة، ويأتي بعد فوز الروائية الألمانية هيرتا مولر في عام ٢٠٠٩، والفرنسي لا كليزيو عام ٢٠٠٨، والبريطانية دوريس ليسينغ عام ٢٠٠٧.

والشاعر السويدي الأشهر يصبح الفائز ١٠٤، بنوبل الآداب والشاعر الأول الذي ينالها بعد البولندي شيمور سكا عام ١٩٩٦، وقالت اللجنة السويدية عنه "يتميز شعره بالصور الشفافية التي تمنح مدخلاً عذباً إلى الواقعية". وقصائد ترانسترومر السيريالية التي تكشف عن العالم الداخلي وعلاقتها بالطبيعة في بلاده، قد ترجمت إلى ٥٠ لغة تقريباً.

وقال السكرتير الدائم للأكاديمية السويدية إن هذا الاختيار قد يثير الجدل والخلاف، ولكنه يعتبر الفائز السويدي الأول بعد أربعين عاماً، عندما فاز بالجائزة السويديان إيفيند جونسون وهاري مارتينسون معاً في عام ١٩٧٤، وأضاف بعد ذلك "إننا فكرنا طويلاً في هذا الأمر".

وقال الشاعر الاسكتلندي روبن فولتون، الذي ترجم المجموعة الشعرية الأخيرة لترانسترومر،"كان من المتوقع فوزه، أنها بمثابة استعادة مجمل أعماله، أنه شهير جداً مع أن بعض الفائزين يشتهرون بعد فوزهم بالجائزة". أن فوز ترانسترومر نهاية سعيدة لانتظار طويل وهو ليس الشاعر الاسكندينافي الأشهر فقط، بل الأهم أيضاً.

وقال السكرتير الدائم للأكاديمية السويدية: إن نتاج ترانسترومر كان ضئيلاً ، بحيث يمكن للمرء جمعه في كتاب – جيب ليس بالكبير أنه يكتب عن موضوعات تتناول أمورا حياتية: الموت، التاريخ، الذكرى، الطبيعة، وهي قضايا تهمّ الإنسان.

ولد توماس ترانسترومر في عام ١٩٣١،وقامت بتربيته والدته المدرسة وتخرج في جامعة ستوكهولم، وعمل خبيراً في علم النفس في إحدى المؤسسات الخاصة. إن مجموعته الشعرية الأولى (١٧ قصيدة) طبعت عام ١٩٥٤ ، وهو ما يزال في الكلية، عكس فيها انطباعاته عن رحلاته إلى إسبانيا، البلقان، وأفريقيا، متأملاً التاريخ المضطرب لمنطقة البلطيق والصراع ما بين الأرض والبحر.

وقد عانى نرانسترومر جلطة في عام ١٩٩٠، مما أثر على قابليته على الكلام، ولكنه واصل الكتابة وأصدر مجموعته الشعرية "الجندول الحزين"، وباع منها ٣٥،٥٥٠ نسخة في عام ١٩٩٦، وقد ظهر الشاعر مؤخرا في لندن، حيث قرأ آخرون قصائده في حين كان هو يعزف الموسيقى بيده اليسرى.

ويصف ترانسترومر شعره بـ "التقاء أماكن"، حيث الظلمة والضياء، حيث الداخلي والخارجي يتصادمان لإعطاء اتصال مفاجئ مع العالم والتاريخ وأنفسنا.

"اللغة تتقدم بخطوات مع الجلادين ولهذا يجب علينا إيجاد لغة جديدة".

إن شعر توماس ترانسترومر قد ترجم إلى أكثر من ٥٠ لغة، وهو معروف في أوروبا والدول الاسكندينافية، ويمكننا مقارنته بالشاعر شيموس هيني.

إن الفوز بنوبل للآداب يتطلب ترجمة أعمال الكاتب إلى لغات عدة لتكوين قاعدة من القراء.

عن الغارديان